

تَارِيخُ شُعَرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ

عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ
الْعَكَّوْكَ

شُعَرَاءُ
الْعَصْرِ
الْعَبَّاسِيِّ
الْأَوَّلِ



مراجعة وتلقيق
أحمد عبد الله فرهود

إعداد وشرح
لجنة التحقيق في دار القلم العربي

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم العربي بدمشق والإيجاز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر .



منشورات
دار القلم العربي بحلب

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

عنون الدرر

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي

شارع هدى الشمر كوي

هاتف | ٢١٣١٢٩ | ص.ب | ٧٨ | فاكس ٢١٠٢١٢٣٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة عنه

هو أبو الحسن عليُّ بنُ جبلة بن عبد الله الأنباري، المعروف بالعكوك، وأصل أسرته من مدينة الأنبار (١) التي فتحها سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه، وهي بلدة عراقية تُعرف اليوم بالرُمادي، ومعنى العكوك: القصير السمين، يقال إن الأصمعيّ لقّب به بذلك.

وُلِدَ العكوك في بغداد سنة /١٦٠/، أسرد أكمه (٢)، فحلّدت آفته وجهته، فصار يتردّد على حلقات العلم والأدب، وكانت له مؤهبة شعرية فتفتّحت، فتوجّه بها إلى بعض القادة والوزراء مدحهم، وينال عطاياهم، مثل أبي دلف العجلي، وحيد بن عبد الحميد الطوسي، والد القائد محمد بن حميد الذي قُتل في حرب بابك وورثاه أبو تمام برأيته الذائعة، والوزير الحسن بن سهل.

نهايته

كان العكوك يغالي في مدح مَنْ يطمع بعطاياهم مُغالاةً مُفرطة، تبلغ حدّ وصفهم بخصال ليست لهم، ولاتنطبق عليهم، وإثما هي من صفات الله عزّ

(١) وقيل: هو علي بن جبلة الأنباري أو النبوي، من أبناء الشيعة الخراسانية.

(٢) أكمه: أعمى منذ ولادته.

وجلّ التي لا ينازعه فيها - على وجه الحقيقة - منازع ، يقول العكوك في مدح أبي دُلف العجلي (واسم أبي دلف : القاسم بن عيسى) :

أنت الذي تُنزل الأيّل منزليها وتنقل الناس من حال إلى حال
ومامت مدى طرق إلى أحدٍ إلّا قضيت بأرزاقٍ وأجالٍ

فالذي يتصرّف بالزمان والمكان ، وبالناس ، هو الله سبحانه ، وهو الخالق الرازق ، المحيي المميت ، ومن نسب شيئاً من ذلك إلى غير الله تعالى فقد أساء وأخطأ ، وجانب الحقّ ، والعكوك بهذه المغالاة المستنكرة قد سبق شاعراً مغرياً عرّف بها ، وهو ابن هاني الأندلسي الذي قال في المعزّ العيّدي :

ما شئت ، لأمشاطِ الأقدارُ فاحكم فأتت الواحدُ القهارُ
ولم يكن الخليفةُ (١) لينزّ العكوك يدعي ما يشاء ، فأمر بقتله سنة ٢١٣/ أو ٢١٤/ هـ .

إجادته الشعر

أسلوب العكوك مطبوع ، فصيح الألفاظ ، متين التركيب ، متصرّف في المعاني ، مع سهولة وحسن صناعة ، ولم يقف عند المدح فقط ، إذ له رثاء ووصف وغزل .

(١) هو المأمون بن الرشيد .

مِنْحَتُهُ فِي أَبِي دَلْفٍ

كَانَ الْعُكْرُوكُ فِي أَوْجِ طَمُوحِهِ إِلَى الشُّهُرَةِ وَالْكَسْبِ ، إِذْ أَوْقَعَ أَبُو دَلْفٍ
الْعَجَلِيَّ بِثَائِرِ مَتَمَرَّدٍ عَلَى الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ اسْمُهُ قَرْقُورٌ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْعُكْرُوكُ بِهَيْئَةِ
رَثَّةٍ ، فِي حِمْلَةٍ مَرَّ دَخَلَ مِنَ الشَّعْرَاءِ ، وَأَلْقَى رَائيَةً بَدِيعَةً فِي مَدْحِهِ وَتَصْوِيرِهِ
خِصَالَهُ . أَوَّلُهَا :

ذَاكَ وَرَدَ الْغَيِّ عَنْ صَنْدَرِهِ فَارْعَوَى وَاللَّهُوُ مِنْ وَطَرِهِ (١)
وَفِي رَأْيِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ ، أَوْ أَيْتَاتُ مِنْهَا ، كَانَتْ سَبَبَ
غَضَبِ الْمَأْمُونِ عَلَى الْعُكْرُوكِ ، قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : لَمَّا بَلَغَ الْمَأْمُونُ قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ
فِي أَبِي دَلْفٍ :

كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ بَادِيَةٍ إِلَى حَضْرَةٍ (٢)
مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرَمَةً يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَخَرَةٍ
اسْتِشْطَاطٌ مِنْ ذَلِكَ وَغَضَبٌ ، وَقَالَ : يَزْعُمُ أَنَا لَا نَعْرِفُ مَكْرَمَةً إِلَّا
مُسْتَعَارَةً مِنْ أَبِي دَلْفٍ ، وَطَلَبَهُ فَهَرَبَ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، فَكَتَبَ فِي طَلَبِهِ فَحُولَ إِلَيْهِ ،
فَلَمَّا صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ : أَنْتَ الْقَائِلُ لِلْقَاسِمِ بْنِ عَلِيٍّ (أَبِي دَلْفٍ) :

كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ بَادِيَةٍ وَمَحْضَرَةٍ
مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرَمَةً يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَخَرَةٍ

(١) ذَاكَ : دَفْعٌ . ارْعَوَى : كَفَّ . وَطَرٌ : حَاجَةٌ .

(٢) بَادِيَةٌ : سُكَّانُ الْبَادِيَةِ . حَضْرَةٌ : أَهْلُ الْمَدِينَةِ .

فقال : يا أمير المؤمنين ، عَنَيْتُ أَشْكَالَ قَاسِمٍ وَأَشْبَاهَهُ ، فَأَمَّا أَنْتُمْ فَقَدْ أَتَاكُمْ اللَّهُ بِالْفَضْلِ عَنْ سَائِرِ عِبَادِهِ ، لِأَنَّهُ اخْتَصَّكُمْ بِالْفَضْلِ وَالنَّبُوَّةِ وَالْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ، وَجَمَعَ لَكُمْ إِلَى ذَلِكَ الْخِلَافَةَ وَالْمُلْكَ ، وَمَا زَالِ يَسْتَعِظُفُهُ حَتَّى عَفَا عَنْهُ .

وَكَمَا زَعَمَ ابْنُ الْمَعْتَزِ أَنَّ الْمَأْمُونِ نَقِمَ عَلَى بَعْضِ مَا فِي هَذِهِ الرَّائِيَةِ ، اِمْتَعَضَ أَيْضاً حَمِيدٌ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ الطُّوسِيِّ مِنْ مَغَالَاةِ الْعَكُوكِ ، وَقَالَ لَهُ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ لِيَنْشُدَهُ : وَمَا عَسَيْتَ أَنْ تَقُولَ فِينَا ؟ وَهَلْ أَبْقَيْتَ لِأَحَدٍ مَذْحِجاً بَعْدَ قَوْلِكَ فِي أَبِي دَلْفٍ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دَلْفٍ بَيْنَ مَبْدَاهِ وَمَحْتَضَرِهِ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دَلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ الْعَكُوكُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، مَا قُلْتَ فَيْكَ أَحْسَنَ .
قَالَ حَمِيدٌ : مَاذَا قُلْتَ ؟ قَالَ الْعَكُوكُ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا حُمَيْدٌ وَأَيَادِيهِ الْجِسَامُ
فَإِذَا وَلَّى حُمَيْدٌ فَعَلَى الدُّنْيَا السَّلَامُ

الرَّائِيَّةُ

تَبْدَأُ الْقَصِيدَةَ بِذِكْرِ الشَّيْبِ وَالْغَزْلِ ، مَقْلَداً غَيْرَهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ فَيَقُولُ :

ذَاذَ وَرْدَ الْغَيِّ عَنْ صَدْرِهِ فَارْعَوِ وَاللَّهُوُ مِنْ وَطَرِهِ (١)
وَابْتَ إِلَّا الْوَقَارَ لَهُ ضَحَكَاتُ الشَّيْبِ فِي شَعْرِهِ (٢)

(١) الْوَطَرُ : الْحَاجَةُ . رَدُّ الضَّلَالَةِ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتَ ، وَكَفَّ عَنِ اللَّهِو ، مَعَ أَنَّ نَفْسَهُ تَطْلُبُهُ ، وَالْوَرْدُ : إِيْتَانِ الْمَاءِ . وَالصَّدْرُ : الرَّجُوعُ مِنْهُ .

(٢) يَنْ أَنَّ سَبَبَ عَزُوفِهِ عَنِ طَلَبِ الْمَلَذَّاتِ هُوَ نَزُولُ الشَّيْبِ بِهِ .

نَمِي أَنْ الشَّبَابَ مَضَى لَمْ أَبْلُغْهُ مَدَى أَشْرِهِ (١)
وانقضت أيامه سَلَمًا لَمْ أَهْجُ حَرْبًا عَلَى غَيْرِهِ (٢)
حُسِرَتْ عَنِّي بِشَاشَتُهُ وَنَوَى الْيَاتُغُ مِنْ ثَمَرِهِ (٣)
جَارَتَا لَيْسَ الشَّبَابُ لِمَنْ رَاحَ مُحَنِيًا عَلَى كِبَرِهِ
طَرَقَتْ تَلَحَّى فَقُلْتُ لَهَا : مَذْهَبٌ مَا أَنْتِ مِنْ سُورِهِ (٤)

ثم يصف رحلته إليه ، وما وقع له من مصاعب وهو يتحشمها ، وبعد ذلك يصل إلى مدحِهِ :

دَعَّ جَدًّا قَحْطَانٌ أَوْ مُضَرٌ فِي يَمَاتِيهِ وَفِي مُضَرِهِ (٥)
وَامْتَدَحَ مِنْ وَائِلٍ رَجُلًا عَصَرَ الْأَفَاقِ مِنْ عُصْرِهِ (٦)
الْمَنَافِيَا فِي مَقَاتِبِهِ وَالْعَطَايَا فِي ثَرَا حُجَرِهِ (٧)
خَضَمَ الدُّنْيَا بِنَاتِلِيهِ وَأَقَالُ الدِّينَ مِنْ عُثْرِهِ (٨)

(١) أشره : ترفه وبطره .

(٢) غَيْرِهِ : أحداثه المتغيرة ، أحواله .

(٣) ذوى : ذبل . (٤) تلحى : تلوم وتعنف . السورة : المنزل .

(٥) جدا : عطاء .

(٦) عصر الأفاق : ملجأ . غبار . يريد أن أهل الأرض كلهم من عشيرته . وهذه كناية عن منعه .

(٧) المقاتب : أكف الأسود . دار : فناء الدار .

(٨) خضم : أعطى . نائل : عطاء . أقال الدين من عُثْرِهِ : أنهض الدين من عُثْرِهِ يقال أعدائه وروى : هضم : أي وسع .

- مَلِكَةٌ تَنْدَى أَلَمِلُهُ كَاتِبَتَامِ الرُّوَضِ عَنْ زَهْرَةٍ (١)
 مُسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ كَاتِبِلَاجِ النَّوْءِ عَنْ مَطَرِهِ (٢)
 عَقْدَ الْجُدِّ الْأُمُورِ بِهِ حِينَ لَمْ يَنْهَضْ بِمُتْعَرِهِ (٣)
 فَكَفَاهَا وَاسْتَقَلَّ بِهَا لَمْ تَصِفْ وَهَذَا قَوَى مَرِّهِ (٤)
 جَبَلٍ عَزَّتْ مَنَاكِبُهُ أَمَنْتَ عَنَانُ فِي ثُغْرِهِ (٥)
 إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو ثَلْفٍ بَيْنَ مَبْدَاهِ وَمُحْتَضَرِهِ
 فَإِذَا وَلَّى أَبُو ثَلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ

ثم يعرض لإخماد أبي دلف ثمردَ الثائر قرقور ، فيتحدث عن الجيش وعبوس الخيل ، وقرى الطير من جثث الأعداء .. يقول :

- يَا دَوَاءَ الْأَرْضِ إِنْ فَسَدَتْ وَمَجِيرَ الْيَسْرِ مِنْ عُسْرِهِ
 رَبُّ ضَافِي الْأَمْنِ فِي وَدْرٍ قَدْ أَهَتْ الْخَوْفَ فِي وَدْرِهِ (٦)
 وَزُحُوفٍ فِي مَوَاكِبِهِ كَصِيَاكِ الْحَشْرِ فِي أَمْرِهِ (٧)
 زَرَّتَهُ وَالْخَيْلُ عَلِيْسَةً تَحْمِلُ الْبُؤْسَى إِلَى عُقْرِهِ (٨)

(١) تندی : تجود .

(٢) مستهلّ : متلفّ . انبلاج النّوء عن مطره : سقوط المطر بحلول أوانه .

(٣) متعرّ : من الوعورة . (٤) مرّر : جمع مرّة ، وهي القوّة . وهنّ ضعف .

(٥) منكب الجبل : أعلاه . كمكان الكفّين عند الإنسان . الثُّغْرُ جمع ثُغْرَة ، وهي المكان المتاخم للعلوّ .

(٦) ضافي الأمن : يعيش في أمن وريف . وزر : ملحقاً .

(٧) أمره : خلقه الكثيرين . (٨) عُقْرِهِ : داره ، أو وسط داره .

خارجت تحت رايها كخروج الطير من وكرة

فلأبخت الليل عقوكة وقرنت الطير من جذرة (١)

وأسلوب القصيدة بارع ، ولم يكن العكوك قبلها ذا شهرة واسعة ، ومن هنا ساورت الرئية أهل المجلس الذين كانوا عند أبي دلف ، وكانت ملابس الشاعر رثة ، وعمره في مُبتدئه ، فلما أحسن منهم ضعف الثقة في صناعته الشعرية وعزّو كلامه إليه طلب إليهم أن يمتحنوه ، فقالوا إذا صِف لنا فرس أبي دلف ، فسألهم أن يبعثوا معه بعض من يثقون به ، ففعلوا ، فقال له - ومرّ بنا أنّ العكوك كان أعمى : أين الفرس ؟ فأوصله إليه ، فجعل يتحسّسه بيده ، ثم قعد وأملى عليه قصيدته :

رَبِيعَتُ لَمَنْشُورٍ عَلَى مَقَرِّهِ نَمُّ لَهَا عَهْدُ الصَّبَا ثُمَّ انْتَسَبَ

وهي قصيدة فيها غريبٌ كثير ، وإجادة لوصف الفرس . لكن رائية العكوك ذاعت ، ونال بها من أبي دلف عطايا وافرة ، وقال عبد الله بن المعتز : لقد سارت هذه (الرائية) في أبي دلف سَيْرَ الشمس والريح . وقال فيها أيضاً : (هي) القصيدة الغراء التي سارت في العرب والعجم .

العكوك ينسجها على منوال قصيدة لامرئ القيس

قال خلف بن محمد الطائي للعكوك : عارضت أبا نواس في قصيدته :

أيها المقتاب من عفرة لست من ليلى ولا سغرة

(١) العقوة : المكان الفسيح أمام الدار : الجزر : اللحم يريد أشلاءه .

فاستكر العكوك ، وقال : إنما عارضتُ امرأ القيس في قوله :
رَبُّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ مُخْرَجٌ كَفَيْهِ مِنْ سِتْرَةٍ

عبد الله بن طاهر ينقم عليه مبالغته

مرَّ بنا استنكار المأمون وحيد الطوسي لمبالغة العكوك حين جعل الدنيا
أباً دلف ، فإذا ذهبَ ذَهَبْتُ ، وليس البشر - كل البشر - إذاً شيئاً . ومن
أنكر عليه غلوّه أيضاً عبد الله بن طاهر ، فعندما ذهب إليه العكوك ليمدحه
رفضَ أن يستمع إليه ، وقال له : أَلَسْتُ الْقَائِلُ ؟ : ((إنما الدنيا أبو دلف))
... قال : بلى . قال : فما الذي جاء بك إلينا ، وعدل بك عن الدنيا التي
زعمتَ ؟ ارجعْ من حيث جئت . فعاد العكوك ومرَّ بأبي دُلف ، وأعلمه
بالخير ، فأعطاه حتى أرضاه .

ونرى العكوك يعرض بعبد الله بن طاهر ، فيقول :

أَبُو ثَلَفٍ الْخَيْرَاتِ أَنْدَاهُمْ يَدَا وَأَبْسَطُ مَعْرُوفًا وَأَكْرَمُ مَحَبَّدَا (١)
تَرَاثُ أَبِيهِ عَنْ أَبِيهِ وَجَدَهُ وَكَلَّ امْرَأً يَجْرِي عَلَى مَا تَعَوَّدَا (٢)
وَلَمَسْتُ بِشَاكٍ غَيْرِهِ لِنَقِصَةِ وَلَكِنَّمَا الْمَمْدُوحُ مَنْ كَانَ أَمَجَّدَا

(١) أندى : أكرم . محتد : أصل .

(٢) أخذ المتني هذا المعنى فقال :

لكلِّ امرئٍ من دهره ما تَعَوَّدَا وعادةُ سيف الدولة الطغتنُ في العدا

العكوك يحتجب عن أبي دلف

نال العكوك من أبي دلف خاصّة مالا يكفيه مدى حياته ، ويزيد ، فأراد - وخطر في باله ما يخطر في بال النساء أحياناً من حبّ استماع كلمات أزواجهنّ في التعلّق بهنّ - أراد أن يحتجب عن أبي دلف لبعض الوقت ليرى ماذا يصنع ، فأرسل عندئذ أبو دلف أخاه معقلاً إلى الشاعر قائلاً : إن الأمير يقول لك : لم هجرتنا وقعدت عنا ؟ إن كنت رأيت تقصيراً فيما مضى فاعلّمنا فإنّا نتلافاه في المستقبل . فكتب إليه :

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة	وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر
ولكنني لما أتيتك زائراً	وأقرطت في بري عجزت عن الشكر
فم الآن لا أتوك إلا مسلماً	أزورك في الشهرين يوماً أو الشهر (١)
فإن زدني برّاً تريت جفوة	فلا نلتقي طول الحياة إلى الحشر

مدح الطوسي ورثاؤه

من ممدوح علي بن جبلة القائد المحنك حميد الطوسي ، وفيه يقول :

فأنت الغيث في السّم	وأنت الموت في الحرب
وأنت الجامع القار	ق بين البعد والقرب
بك الله تلافى النا	س بعد العثر والتكب (٢)

(١) فَم الآن : فمن الآن .

(٢) العثر : : التعثر . التكب : التكبّيات والمصائب .

وردّ البيض والبيض إلى الأعماد والحجب (١)

يلقاكم في الحرب وإطعامك في اللزب (٢)

فكم أمنت من خطب وكم أمنت من خطب (٣)

تناهت بك فخطن إلى الغاية والحصب

فقلت شرقاً الأحياء و قوت الرأس للعجب (٤)

وعموت حميد سنة / ٢١٠ هـ ، فأحس بفقدِهِ ، إذ كان حميد يعطيه

على القصيدة الواحدة مائتي ألف درهم ،

فقال يرثيه بهذه العينية :

للدهر تبكي أم على الدهر تجزع وما صاحب الأيام إلا مفجع (٥)

والمطلع يذكرنا بمطلع أبي ذؤيب الهذلي :

أمن المئون ورثها تتوجع والدهر ليس بمنعجب من يجزع

ومعني العكوك مصوراً حزنه في ثوب من الحكمة :

تعرّ بما عزّيت غورك إثرها سهام المنيا حلمات ووقّع

أصينا بيوم في حميد لو اتّاه أصاب عروش الدهر ظلت تصنّنع

(١) البيض (الأولى) : السيوف ، رثها إلى أعمادها . والبيض (الثانية) : النساء ، رثعن

إلى بيوتهن وأستارهن ، . أزال الله تعالى القوضى بحميد ، فوضع كل شيء في نصابه .

(٢) اللزب : الجذب والقحط .

(٣) خطب : مصاب . خطب : زوجة ، أيمها يقتل حليلها .

(٤) عجب الذنب : آخر سُلّامى من أسفل العمود الفقري .

(٥) تجزع : تضرع وتحزن . مفجع : تنزل به الفجائع .

- وَأَتَيْنَا مَا أَتَى النَّاسَ قَبْلَنَا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ لِلصَّبْرِ مَوْضِعَ
 حِمَامٍ رَمَاهُ مِنْ مَوَاضِعِ أُمَّتِهِ كَذَلِكَ الْخَطْبُ بِالْخَطْبِ يُقَرَّعُ (١)
 لَقَدْ أَدْرَكْتَ فِينَا الْمَنَابِيَا بِثَارِهَا وَحَلَّتْ بِخَطْبِ وَهْيَةٍ لَيْسَ يُرْقَّعُ (٢)
 نَعَاءٍ خَفِيذًا لِلْمُسْرَايَا إِذَا غَدَتِ تَذَاذُ بِأَطْرَافِ الزَّمَاحِ وَتُوزَعُ (٣)
 وَلِلْمُرْهَقِ الْمَكْرُوبِ ضَاقَتْ بِأَمْرِهِ قَلَمٌ يَدِرُ فِي حَوْمَاتِهَا كَيْفَ يَصْنَعُ (٤)
 وَلِلْبَيْضِ خَلَّتْهَا الْبُعُولُ وَلَمْ يَدْعُ لَهَا غَيْرَهُ دَاعِي الصَّبَاحِ الْمَفْزَعُ (٥)
 وَكَيْفَ التَّقَى مَثْوًى مِنَ الْأَرْضِ ضَيْقُ عَلَى جَيْلٍ كَانَتْ بِهِ الْأَرْضُ تَمْنَعُ (٦)
 هُوَى جَيْلِ الدُّنْيَا الْمَنِيعِ رَغِيثُهَا الْـ مَرِيحُ وَخَامِيهَا الْكَمِيُّ الْمُنْتَبِعُ (٧)
 عَلَى أَيِّ شَجْوٍ تَشْتَكِي النَّفْسُ بَعْدَهُ إِلَى شَجْوِهِ ، أَوْ يَنْخَرُ الدَّمْعُ مَنَمْعُ (٨)
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّفْسَ حَالَ ضِيَائِهَا عَلَيَّ وَأَضْحَى لَوْنُهَا وَهُوَ أَسْفَعُ (٩)
 وَأَوْحِشَتْ الدُّنْيَا وَأَوْدَى بِهَاؤُهَا وَأَجْتَبِ مَرَعَاها الَّذِي كَانَ يَمْرَعُ (١٠)
 وَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِهِ مَطْمَئِنَّةً فَقَدْ جَعَلَتْ أَوْتَلاَهَا تَتَقَلَّنُ (١١)

- (١) أَبُو دَلْفٍ كَالْمَنِيَّةِ ، وَلَكِنْ الْمَوْتُ تَسَلَّطَ عَلَيْهِ ، فَأَوْدَى بِهِ .
 (٢) الرَّهْيُ : الضَّعْفُ وَالْفَتَقُ .
 (٣) نَعَاءٍ : اسْمُ فَعْلٍ أَمْرٍ (قِيَاسِي) ، مَعْنَى أَنْعَ . تُوزَعُ . نَزَجَرُ ، أَوْ تُرْتَبُّ وَتُصَفَّ لِلْحَرْبِ .
 (٤) حَوْمَاتُهَا : سَاحَاتُهَا . (٥) كَانَ يَعِينُ النَّسَاءَ اللَّاحِي قَتْلَ أَزْوَاجِهِنَّ فِي الْمَعَارِكِ .
 (٦) مَثْوًى : مَقَامٌ ، يَرِيدُ الْقَبْرَ .
 (٧) لِلْمَنِيعِ : الْقَوِي . الْمَرِيحُ : الْمُنْبَتِ الْخَصِيبُ . الْكَمِيُّ : الشَّجَاعُ . مُنْتَبِعٌ : مُؤَيَّدٌ .
 (٨) شَجْوٌ : مُصِيبَةٌ ، حَزَنٌ ، يَنْخَرُ : يَنْدَحِرُ .
 (٩) أَسْفَعُ : قَاتِمٌ ، أَسْوَدُ . كَتَابَتْ نَفْسُهُ فَاسْوَدَّتْ لَأَسْوَدَادِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهَا .
 (١٠) أَوْدَى : ذَهَبَ . أَجْدَبَ : أَقْفَرُ . يَمْرَعُ : يَخْضِبُ بِكَثْرَةِ الْكَلَالِ .
 (١١) اضْطَرَبَتْ حَيَاةُ الْعَكْرُوكِ بَعْدَ مَوْتِ الطُّوسِيِّ ، وَلَمْ تَعُدْ مُسْتَقَرَّةً .

بكى فقد ه روح الحياة كما بكى نداه الندى وابن السبيل المُنْمَعُ (١)
وأيقظ أجفناً وكان لها الكرى ونامت عيون لم تكن قبل تهَجُّعُ (٢)
ولكنه مقدار يوم ثوى به لكل امرئ منه نهالٌ ومُتَسَرِّعُ (٣)
وعاطفة الشاعر متدفقة حية ، ولكن المبالغة المسرفة من مثالب أسلوبه ،
وهي مبالغة تتضح إذ يقول أيضاً :

وفارقت البيض الخدور وأبرزت عواطل حسرى بعده لا تتقَعُ (٤)
فقد خرجت النسوة - كما يقول - من يوتهن سوافر قد أنساهن
الحزن أن يتقنعن ، وكأنه يريد إحياء صورة المرأة الجاهلية عندما كانت تؤثر
بفقيده .

مقدرته على الخوض في الهجاء

كما كان العكوك يستطيع المدح كان يستطيع الهجو أيضاً ، ويدل على
ذلك أن أبا دلف نفسه قال للعكوك يوماً وهو يداعبه : إنك تحسن أن تمدح ،
ولا تحسن أن تهجو ، فقال له الشاعر : الهنم أيسرُ من البناء ، وأردف قائلاً ،
ليثبت ما ذكر :

-
- (١) لم يعد للحياة بعده معنى ، وبكى عليه السخاء ، لأنه كان له صاحباً ، وابن السبيل
لأنه كان له مُسَعِفاً .
(٢) وموته أصاب الأرق من يغمرهم بعطائه ، فانقطع مورده عنهم ، بينما ارتاح
حاسدوه فناموا قريري الأعين .
(٣) لكن قدره نزل في يوم مماته ، وقضى عليه بالوفاة ، ولا بد لكل امرئ أن يشرب
ذات يوم من مائه جرعة ، ويلقو طعم المنيّة .
(٤) البيض : النساء . الخدور : البيوت . عواطل : خلعت زيتهن وحليهن . حسرى :
سوافر حاسرات عن رؤوسهن ووجوههن .

أَبُو نَلْفٍ كَالطَّيْلِ يَذْهَبُ جَوْفُهُ وَبَاطِنُهُ خَلَقَ مِنَ الْخَيْرِ أَخْرَبُ
أَبَا نَلْفٍ يَا أَكْذِبَ النَّاسِ كُلَّهُمْ سِوَايَ فَإِنِّي فِي مَدِيحِكَ أَكْثَبُ
ولولا أنه هجاه ممازحة لهدم كل مدائح فيه .

واشتعل الرأس شيباً

للعكوك أشعار في عدّة أغراض غير المديح ، لكنّ المديح أهمّها ، فهو -
على الرغم من أنه كان مكفوفاً - يعرف كيف يصف ، فهو يشبّه انحسار
الشباب ، وجميء الشيب بعده بأمل نضير يقضمه موتٌ مُبِير :

كُنْ حُسُورَ الصَّبَا عَنِ الشَّيْبِ حِينَ اشْتَعَلَ (١)
زَهَا أَمَلٍ مُوْتَقٍ أَطْلَعَ عَلَيْهِ أَجَلَ (٢)

حكمة

في الشباب حِلَّةٌ ، تحول في الشيخوخة حكمةً ورزاقاً ، وكل من يولد
فهو ميّت ، لأنه في طريق الموت ، ولا بدّ أن يمرّ به ، فكأنّما هو من لوازم
الموت ، وبضاعة من بضائعه ، ومثله كمثل السهم والهدف الذي يُصَوِّب نحوه ،
فليس يمسكه عنه إلّا أن يحين وقت توجيهه إليه :

وَأَرَى اللَّيَالِي مَاطُوتٍ مِنْ شَيْرَتِي رَيْثُهُ فِي عَظْمِي وَفِي أَفْهَامِي (٣)
وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَرْءَ مِنْ سَنَنِ الرَّدَى حَيْثُ الرَّمِيَّةُ مِنْ سَهَامِ الرَّامِي

إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا

إذا اشتدّت الملمات ، وتراكمت أُنْقَالُ الموم ، فما أجمل أن يعلّل المرء
نفسه بالآمال ، يرقبها ، ألا وليعلم أنّ أوج الشدة إنّما هو بداية الفرج :

(١) حُـسُور : انحسار . الصَّبَا : الشباب .

(٢) زَهَا : مقدار (مثل) موْتَق : نضير : أجل : موت . واليْتَان من مجزوء المتقارب .

(٣) شَيْرَة : حِلَّة .

عسى فرج يكون عسى نعل أنفسا بصنى
فلا تغنط إذا لاقيت - هماً يقبض النفسا
فأقرب ما يكون المرء - من فرج إذا أيسا

اليتيمة

القصيدة ((اليتيمة)) أو ((الدعدية)) قصيدة مشهورة عند الذين يرتاحون للغزل والعشق والهوى ، وفيها شيء من الوصف الحسي لجسم المرأة . وسبب تأليفها أن امرأة بحدية بارعة الجمال اسمها دعد ، عزم أن تزوج إلا من فتى يرضيها شعره ، فتقرب إليها شعراء كثيرون ، فلم ترضها قصائدهم ، ونظم شاعر تهامي قصيدة وسار بها إليها ، فلقي في طريقه شاعراً آخر يقصد مقصده ، فتناشدا قصيدتهما ، وكانت قصيدة التهامي أبرع ، فقتله رفيقه ، وانتحل قصيدته ، وقلم بها على الأميرة ، ولكنها أدركت من بعض القرائن في القصيدة نفسها أنها ليست للذي أنشدتها بين يديها ، واعترف الشاعر بجريمته ، فأمرت بقتله .

واختلفوا في قاتل القصيدة اليتيمة ، فقيل : هو جاهلي ، أو أموي ، وقيل هو عباسي . ونسبت إلى دوقلة المنبجي ، وإلى أبي الشيص الخزاعي (اسمه محمد بن عبد الله بن رزين) ، وإلى كثيرين بلغ تعدادهم الأربعين . ومن جملة من نسبت إليهم العكوك علي بن جبلة . ومطلعها :

هل بالطلول لسائل ردّ أم هل لها بتكلم عهد (١)

خاتمة

مع أن العكوك ليس مشهوراً في أواسط المثقفين اليوم بأنه من كبار الشعراء العباسيين ، فإنه كان منهم ، وكان من أصحاب التحديد في المبنى والمعنى ، وطرق عدة أبواب شعرية .

(١) إن الطلول لا ترد على سائل ، وهل سبق أن تكلمت حتى ترد علي الآن ؟